

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التربيَةُ عَلَى الْأَمَانَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَنَهَى عَنِ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ، حَتَّى عَلَى الْجِدِّ فِي تَرْبِيَةِ الْأَجْيَالِ، وَتَشْتَيْتِهِمْ عَلَى مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الْخِصَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، الصَّادِقَ الْأَمِينَ، وَمُرْبِّي
خَيْرِ جِيلٍ فِي الْعَالَمِينَ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَاتِّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي عِبَادَ اللَّهِ بِتَنَوُّاهُ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا
رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَنَهُ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١)، وَاعْلَمُوا - رَحْمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ تَرْبِيَةَ الْأَجْيَالِ، تَبْدُأُ مِنْ
غَرْسِ الْقِيمِ وَالْأَفْكَارِ وَالْمُعْتَدَدَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَالتَّرَبِيَةُ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَهَذِهِ هِيَ
وَظِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ مِنَ الْمُرْبِّينَ الْمُخْلِصِينَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((إِنَّمَا بُعْثِتُ لِأَتْمِمَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ))، وَجَاءَ
فِي الْأَئْنَاثِ: "مَا نَحْلَ وَالَّذِي وَلَدَ خَيْرًا مِنْ أَدَبِ حَسَنٍ"، أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ هَذِهِ الْقِيمِ، قِيمَة
تَسْمُو بِصَاحِبِهَا إِلَى أَعْلَى الْقِيمَ، إِنَّهَا الْأَمَانَةُ، يُلْتَزِمُهَا الْعُقَلَاءُ، وَيَتَحَلَّ بِهَا الْفُضَّلَاءُ، وَقَدْ
أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْإِتْصَافَ بِهَا مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ تَضَيِّعَهَا نِفَاقُ وَعَصِيَانُ، فَعَنْ أَنَّسٍ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: ((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا
دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))، وَمَا احْسَرَتِ الْأَمَانَةُ فِي مُجْتَمِعٍ مِنَ الْمُجَتمَعَاتِ، إِلَّا تَوَالَّتْ عَلَيْهِ
النَّكَبَاتُ، وَتَعَاظَمَتْ بَيْنَ أَفْرَادِهِ الْخِلَافَاتُ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ عَنْ أَقْوَامٍ ضَيَّعُوا أَمَانَةَ الْمِيثَاقِ،
فَعُذِّبُوا بِالْخِلَافِ وَالشَّقَاقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِنْ تَعْهِيدِهِمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ
فَسِيَّةً﴾^(٢).

(١) سورة النساء / ١٠

(٢) سورة المائدة / ١٣

إِلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَمَّا كَانَتِ الْأَمَانَةُ بِهَذِهِ الْأَهْمَىَّةِ، حَرَصَ عَلَى غَرْسِهَا الْمُرْسَلُونَ فِي أَتْبَاعِهِمْ، وَالْمُرْبُونَ فِي طُلَابِهِمْ، وَالآباءُ الصَّالِحُونَ فِي أَوْلَادِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: «وَإِنَّ مَدِينَاتَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتُكُمْ بِكِتْمَةٍ مِنْ رَيْكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا الْكَاسَ أَشْيَاءَ هُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^(١)، وَأَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، فَقَدْ كَانَ عَلَى الْأَمَانَةِ خَيْرَ الْمُرْبَّينَ، كَانَ أَمِينًا مَعَ أَصْحَابِهِ، وَأَعْدَائِهِ وَأَحْبَابِهِ، فَهُوَ الْقُدوَّةُ فِيهَا، وَالْمُرْبِّي عَلَيْهَا، وَكَانَ يُعْلَمُ أَصْحَابَهُ دُعَاءً يُجَنِّبُهُمُ الْخِيَانَةَ، وَمَا تُورِثُهُ مِنَ الذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةِ))، وَكَانَ إِذَا وَدَّعَ مُسَافِرًا قَالَ: ((أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ))، وَكَانَ ﷺ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْآباءُ وَالْأُمَّهَاتُ، قُدوَّةً لِلْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ، فِي الْأَقْوَالِ وَالْتُّصْرِفَاتِ، يَغْرِسُونَ فِيهِمْ قِيمَ الْأَمَانَةِ، وَيَبْعَدُونَهُمْ عَنِ الْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: دَعْتُنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: تَعَالَ أَعْطِهِ، فَقَالَ لَهَا ﷺ: ((مَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيهِ؟)) فَقَالَتْ: تَمْرَةً، فَقَالَ لَهَا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((أَمَّا إِنَّكَ لَوْلَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتُبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةً))، فَأَيْنَ مِنْ هَذَا بَعْضِ الْآباءِ، الَّذِينَ يَقْنَنُونَ فِي التَّخْلُصِ مِنْ مَطَالِبِ الْأَبْنَاءِ، بِالْكَذِبِ وَالْخِدَاعِ وَالْأَفْرَارِ؟! وَأَيْ تَرْبِيَةٍ يَتَرَبَّاهَا الْابْنُ الَّذِي يُرْسِلُهُ أَبُوهُ، عِنْدَمَا يَطْرُقُ ضَيْفُ الْبَيْتِ، فَيُرْسِلُ الْأَبُ ابْنَهُ قَائِلاً: إِنَّ أَبِي لَيْسَ فِي الدَّارِ، إِنَّهَا تَرْبِيَةٌ عَلَى الْكَذِبِ وَالْعِيَادَةِ بِاللَّهِ، أَمَّا يَتَّقِيَ اللَّهُ أَوْلَئِكَ الْآباءُ؟ وَكَذَلِكَ مَنْ يُرَبِّي ابْنَهُ عَلَى الْكَذِبِ، عِنْدَمَا يَذْهَبُ مَعَهُ إِلَى السُّوقِ، فَيَجِدُ سِلْعَةً طَلَبَتْهَا مِنْهُ زَوْجُتُهُ، فَيَرْجِعُ مِنْ دُونِهَا مُنْمِقاً كِذْبَتَهُ، فَيَقُولُ: مَا وَجَدْتُهَا، وَالْابْنُ يُشَاهِدُ كُلَّ هَذِهِ الْأَكَاذِيبِ وَيَتَعَلَّمُهَا، فَهَلْ يَنْتَظِرُ هَذَا الْأَبُ مِنْ ابْنِهِ صِدِّقاً، أَوْ يَأْمُلُ مِنْهُ بِرًا وَحَقًا؟

إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ:

تَتَجاوزُ مَسْؤُلِيَّةُ التَّرْبِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ الدَّائِرَةَ الْأُسْرِيَّةَ، لِتَتَكَامِلَ مَعَهَا الْمُؤَسَّسَاتُ

الترَّبُويَّةِ، والهَيَّاتِ الشَّبابِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، فَكُلُّ مِنْهَا مَسْؤُلِيَّتُهَا، وَيَجُبُ عَلَيْهَا الْقِيَامُ بِمُهَمَّتِهَا، فَطُوبَى لِمُعْلِمٍ كَانَ قُدوَّةً لِطُلَّابِهِ، مُنْصِفًا فِي ثَوَابِهِ وَعَقَابِهِ، قَدْ اتَّخَذَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُدوَّةً وَمِثْلًا، لِيَقْتَدِيَ الطَّلَّابُ بِهِ أَمَانَةً وَأَعْدَالًا، شِعَارُهُ الْحَزْمُ فِي لِينٍ، وَهُوَ لَوْقُ الدَّرْسِ مِنَ الْحَافِظِينَ، يَأْتِي إِلَيَّ وَقْتُ الدَّرْسِ قَبْلَ بِدَائِيَّتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ حَتَّى نِهَايَتِهِ، لَا يُضِيغُ وَقْتَهُ فِي الْقَالِ وَالْقِيلِ، وَلَا يَخُونُ أَمَانَتَهُ بِالْمُزَاحِ الْهَزِيلِ، مِثْلُ هَذَا الْمُعْلِمِ هُوَ الَّذِي يُرجَى أَنْ يَخْرُجَ عَلَى يَدِيهِ طَلَّابَةً أُمَانَاءً، مُجِيدُونَ نُجَباءً، وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ قَاعَةَ الدَّرْسِ دُونَ تَحْضِيرٍ، فَإِنَّهُ مِثَالٌ سَيِّئٌ لِلْمُرِيبِينَ، يَتَعَلَّمُ مِنْهُ طَلَّبُتُهُ الْإِهْمَالُ وَالْكَسْلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقْتُ الْاِخْتِيَاراتِ، تَفَنَّنَ طَلَبَتُهُ فِي الغِشِّ لِنَيْلِ الدَّرَجَاتِ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ مُحْكَمِ الْآيَاتِ الزَّاجِرَاتِ؟ قَالَ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١)، إِنَّ الغِشَّ فِي التَّعْلِيمِ مَهْمَا كَانَ مَصْدَرُهُ، سُلُوكُ ظَاهِرٍ خَطَرُهُ، لَأَنَّهُ أَكْبَرُ خَدِيعَةٍ لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَشَدِ الْأَمْرَاضِ فَتَكًا بِالْمُجَمَعَاتِ، كَيْفَ لَا؟ وَهُوَ يَقُودُ إِلَيْ وَضْعِ الشَّخْصِ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ الْمُنَاسِبِ، وَإِعْطَاءِ الْكَسُولِ الْخَائِنِ الْمَسْؤُلِيَّاتِ وَالْمَرَاتِبِ، بِنَاءً عَلَى مَا لِدِيهِ مِنْ زَائِفِ الشَّهَادَاتِ، وَمَا سَطَرَ فِيهَا مِنْ كَاذِبِ الدَّرَجَاتِ، وَهَذَا لَعْمَرُ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْبَلَاءِ، وَأَسَاسُ التَّخْلُفِ وَالْعَنَاءِ، وَقَدْ حَذَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ أَعْظَمَ تَحْذِيرٍ، عِنْدَمَا جَعَلَ مِنْ أَهْمَمِ أَنْوَاعِ تَضْيِيقِ الْأَمَانَةِ، إِسْنَادَ الْأَمْرِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ هَلَاكَ الْأَمْمِ، يَبْدُأُ بِإِضَاعَةِ الْأَمَانَةِ وَإِهْدَارِ الذِّمَّةِ، وَالتَّمَرُّدُ عَلَى الْأَخْلَاقِ وَالْقِيمَ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَلِيَكُنْ كُلُّ مِنْكُمْ فِي مَوْقِعِهِ قُدوَّةً لِلآخَرِينَ، وَفِي أَمَانَتِهِ مِنَ الْمُحَافِظِينَ، احْرِصُوا عَلَى الْأَمَانَةِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَسْرِكُمْ، وَفِي عِلْمِكُمْ وَعَمَلِكُمْ؛ يُصْلِحُ اللَّهُ شَأْنَكُمْ، وَيُبَارِكُ سَعْيَكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَدْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

(١) سورة الصاف / ٢.

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي شَرَّفَنَا بِحَمْلِ الْأَمَانَةِ، وَنَهَانَا عَنِ الْغَشِّ وَالْخِيَانَةِ، وَنَشَهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَدَ الْأَوْفِيَاءَ جَزِيلَ التَّوَابِ، وَتَوَعَّدَ الْخَائِنِينَ أَلِيمَ الْعَذَابِ، وَنَشَهَدُ
أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،
وَعَلَى اللّهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الْأَمَانَةَ فَرِيقَةٌ أَمَرَنَا اللّهُ بِحِفْظِهَا وَرِعَايَتِهَا، وَأَدَانَهَا إِلَى أَصْحَابِهَا، وَقَدْ أَخْبَرَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْقِيَامَ بِهَا مِنْ شَيْءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ خِصَالِ الْأَخْيَارِ الصَّالِحِينَ، فَقَالَ فِي
كِتَابِهِ الْمُبِينِ وَهُوَ يُثْنِي عَلَى عِبَادِهِ الْمُفْلِحِينَ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَاهَدُهُمْ رَعْوَنَ﴾^(١)،
وَالْإِنْسَانُ مَدْنِيٌّ بِطَبْعِهِ، اجْتِمَاعِيٌّ بِفِطْرَتِهِ، يَتَأَثَّرُ بِمَنْ حَوْلَهُ سُلْبًا وَإِيجَابًا، وَيَتَأَثَّرُ بِتَصْرُّفَاتِهِمْ
كُرْهًا وَاسْتِحْبَابًا، لِذَلِكَ جَاءَ فِي الْإِسْلَامِ رُفْعُ شَانٍ مَنْ كَانَ قُدوةً فِي الْخَيْرِ، وَالتَّغْلِيفُ عَلَى مَنْ
اقْتَدَى بِهِ النَّاسُ فِي الشَّرِّ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَهْمَّ الْبَيِّنَاتِ، الَّتِي يَكْتَسِبُ مِنْهَا النَّاسُ الْأَخْلَاقَ
وَالصِّفَاتِ، بِيَتَهُ الْعَمَلِ فِي مُخْتَلَفِ الْمُؤْسَسَاتِ، فِيهَا يَقْتَدِي الْعُمَالُ بِرُؤُسَائِهِمْ، وَالْمُوَظَّفُونَ
بِمُدْبِرِيهِمْ، وَقَدْ خَلَدَ اللّهُ ذِكْرُ مَنْ كَانَ قُدوةً حَسَنَةً لِمُوَظَّفِيهِ وَعُمَالِهِ، فَهَذِهِ مُلْكَةُ سَبَأ، امْرَأَةُ
كَانَتْ قُدوةً فِي الْأَمَانَةِ لِمَنْ تُدِيرُهُمْ، وَتَرْعَى مَصَالِحَهُمْ، فَخَلَدَ اللّهُ ذِكْرَهَا فِي الْعَالَمِينَ،
وَكَانَتْ قُدوةً لِلنَّاجِحِينَ، ﴿قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمُلْوَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْلَ حَتَّى تَشَهَّدُونَ، قَالُوا نَحْنُ
أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمِرِينَ، قَالَتْ إِنَّ الْمُلْوَأَ إِذَا دَخَلُوا فَرِيقَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعْرَةً أَهْلِهَا أَذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَيْرِجُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٢)، لَقَدْ كَانَتْ
حَرِيصَةً عَلَى أَمَانَتِهَا، مُتَمَسِّكَةً بِأَنَّ لَا تَخُونَ مَصَالِحَ قَوْمِهَا، وَهُوَ الَّذِي حَفَظَ لَهَا عِزَّهَا
وَمَكَانَتِهَا، وَكَانَ سِرًّا انْقِيَادٍ قَوْمِهَا لَهَا. وَإِذَا جِئْنَا لِمِثَالِ الْخَائِنِينَ؛ فَإِنَّا نَجِدُ فِرْعَوْنَ قَالَ
لِقَوْمِهِ: «مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى»^(٣)، لَقَدْ دَأَسَ عَلَى مَصَالِحِ قَوْمِهِ بِالْأَقْدَامِ، وَلَمْ يُعْرِ أَمَانَتَهُ أَيَّ
اِهْتِمَامٍ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ قَوْمُهُ وَجَمَاعَتُهُ، وَعَصَاهُ سَحَرَتُهُ، وَتَحَطَّمَتْ مَمْلَكَتُهُ، فَإِنَّ مِنْ هَذِهِ

(١) سورة المؤمنون / ٨.

(٢) سورة النمل / ٣٥-٣٢.

(٣) سورة غافر / ٢٩.

المواعظ بعض الموظفين، الذي يضيّعون أوقات عملهم وأوقات الناس، فيتأخرُونَ في الحضور إلى مكاتبِهم، ويتقَدّمونَ في الانصرافِ منها دون شعورٍ بحرجٍ أوْ باس؟ أمّا شعروا أنّهم قدّوا لغيرِهم، ممّن يسيرُ على نهجِهم، ويعملُ بتوجّهاتِهم؟ ألا و إنَّ وقتَ العملِ ملِكُ للوَطَنِ وأبْنائِهِ، يجبُ على الموظفِ حسْنُ أدائهِ، إنَّها الأمانةُ التي يُمجدُها الإسلامُ بأنْ يخلصَ الرَّجُلُ لعملِهِ، ويُعنى بإجادتهِ، ويُسهرَ على حقوقِ النَّاسِ التي وُضِعَتْ بينَ يديهِ، ولئِنْ أَعْظَمْ خيانةً ولا أسوأَ عاقبةً منْ رَجُلٍ تولَّ مصالحَ النَّاسِ فنَامَ عنَّها حتَّى أضاعَها، ويُكفيهُ زاجِراً قولُ الرَّسُولِ ﷺ : ((إذا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءُ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بْنِ فُلانِ))، وخيانةُ الواجباتِ تتفاوتُ إثماً ونُكراً، وأشدُّها شناعةً مَا أصابَ الدِّينَ وجُمْهُورَ الْمُسْلِمِينَ، وشَرُّ النَّاسِ مَنْ شَجَعَ عَلَى الكَذْبِ والخِيَانَةِ، بِأَنْ عَرَقلَ الْمُعَامَلَاتِ، وَأَعْجَزَ الْمُرَاجِعِينَ بِالْمَطَالِبِ وَالاشْتَرَاطَاتِ، فَجَرَّهُمْ إِلَى الكَذْبِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْمُسْتَدَدَاتِ. وَمَنْ خَيَانَهُ استَعْمَلَ الرَّجُلُ مَنْصِبَهُ الَّذِي عَيْنَ فِيهِ لِجَرٌّ مَنْفَعَةٍ إِلَى سَخْصِيهِ أَوْ قَرَابِتِهِ، فَإِنَّ التَّشَبُّعَ مِنَ الْمَالِ الْعَامِ جَرِيمَةٌ، قَالَ ﷺ : ((من استَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ))، أمَّا الَّذِي يلْتَرِمُ حدودَ اللهِ فِي وَظِيفَتِهِ، وَيَأْنَفُ مِنْ خِيَانَةِ الْوَاجِبِ الَّذِي طُوَقَهُ، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، قَالَ ﷺ : ((الْعَالِمُ إِذَا اسْتَعْمَلَ فَأَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ؛ لَمْ يَزِلْ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ حتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ))، وَفِي الْأَثْرِ: "إِنَّ مَنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ مَغَالِيقَ الشَّرِّ، وَإِنَّ مَنْ مَنَّ النَّاسِ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ مَغَالِيقَ الْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدِيهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدِيهِ".

فَانْتَقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ -، وَكُونُوا عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّةً مُعِينَينَ، وَبِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ قُدوَّةً أمرِينَ، تَنَالُوا رِضاَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَكُونُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الْفَائزِينَ.

هَذَا وَصَلَوُا وَسَلَمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءاْمَنُوا صَلَوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا سَلِيمًا﴾ (١).



اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِّلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسِّلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خَلْفَائِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقْرُفَنَا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلُّا مِنَا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنْبِيًّا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوفُهُمْ، وَأَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرُ شُوَكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبُ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشَيِّ وَالْأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرَجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزَرْوُعَنَا وَكُلُّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابُ النَّارِ. رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ. رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُحِبِّ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظِلُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.